النفس المغتربة

ياسارى الليل ، هلا استصبح السارى
أم ضلّ مسراه فى بيداء مقفار ؟

قضى الحفاظ على حبى ومقتبلى
واستهدف اليأس آمالى وأفكارى

فلست أعجب من شعرى وهاجستى
ولست أطرب من لحنى وقيثارى

ذابت أمانىّ فى نفسى وما برحت
نفسى رهينة أحباس وأغمار

يومى كأمسى ، ولا أصبو إلى أمل
ضافى البريق ، وإقلالى كإكثارى

وكم تمرست باللأواء وانخدعت
نفسى بمستقبل كالآل غرار

سئمت ظل حياتى جاهداً لغبا
مرنّحاً . بين إقبال وإدبار

وما أسفت على إفلات سانحة
ولافرحت ، إذا استجليت أوطارى

وقد بكيت لإنسانية نفقت
هوناً ، وساوم فيها البائع الشارى

أنا الهزار تغنّى ، ثم أخرسه
شؤم الحياة ، وبؤس الأهل والدار

هجرت روضىَ لامستبدلا عوضا
عنه ، وغادرت بين الدوح أوكارى

يا سارى الليل ، خذنى فى غياهبه
واضرب بنا فى غيابات وأقفار

فما الحياة سوى أشجان مغترب
وما النعيم سوى إدلاجة السارى

ويلمّها ! برّت الأعلاث معلية
سود الضمائر ، وانحطت بأحرار

صوت النهى فى رباها خافتٌ وهنٌ
وفى معالمها ترديد ثرثار

وقد تشابه لوناً فى مساربها
لمح من النور أو لفح من النار

إن الصحارى محاريب تنوف على
مرابع حفلت بالإثم والعار !

وما « السعادة » فى رأيى سوى شبح
من الظنون ، تراءى خلف منظار

ألوم نفسى ولا ألفى لهـا خطأ ... فأنطـوى بصـباباتى وأسرارى
كأننى وحيـاتى حين أبصرها ... خوّاض معركة . جواب أسـفار
فان شكوت فشكوى ضيغم أنف ... ورب منتحب فى بأس زآر
وقيمة النفس أغلى فى النهى ثمنـا ... من أن تباع بدينار وقنـطار

سعيت ، لم أدخر عزما لنـافلة ... وجُدت لم أتنظّر خوفَ إعسار
وقد قضـيت ، وما كفى بجارمة ... على دمى . فمن المطلوب بالثار ؟

[مكة]

حسين عرب